الفصل الأول

سيرة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها
قبل زواجها من الرسول ﷺ

- المبحث الأول: أُسرتها.
- المبحث الثاني: مبادرتها إلى الإسلام وتحملها الأذى فيه.
- المبحث الثالث: هجرتها إلى الحبشة.
- المبحث الرابع: هجرتها إلى المدينة.
- المبحث الخامس: تَرَمُّلُهَا.

المبحث الأول

أسْـــرَتُهـــا[1]

ولادتها:

ولدت أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- في السنة ٢٨ ق. هـ/ ٥٩٦م[2].

اسمها:

قال البصري: اسمها هند[3] بنت أبي أمية زاد الراكب[4] ابن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم[5].

وقال الطبري في السمط الثمين: «هي هند، وقيل: رَمْلة، والأول أصح»[6].

---

(١) وأعني منشأ أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- من ناحية أبيها وأمها.

(٢) الأعلام قاموس تراجم، ص٩٧.

(٣) انظر: تسمية أزواج النبي ﷺ ص٥٧، والطبقات الكبرى ج٨، ص٨٦، والأعلام قاموس تراجم ص٩٨، وعيون الأثر ج١، ص٣٨١، زوجات النبي ﷺ وأولاده سيرة وتاريخ ص١٩٣.

(٤) عرف والدها بزاد الراكب؛ لأنه كان أحد الأجواد، فكان إذا سافر لا يترك أحدًا يرافقه ومعه زاد بل يكفي رفقته، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ج٧، ص٨.

(٥) انظر: تسمية أزواج النبي ﷺ وأولاده ص٥٧، والطبقات الكبرى ج٨، ص٨٦، وتاريخ الأمم والملوك ج١٣، ص٧١، والاستيعاب في معرفة الأصحاب ج١، ص٨٠٢، الوفا بأحوال المصطفى ج٢، ص٣٤٩، وعيون الأثر، ص ٣٨١.

(٦) انظر: السمط الثمين، ص١٣٣، وأزواج النبي ﷺ، ج٢٨، ص١٤٧، وسمط النجوم العوالي ج١، ص٣٨٢.

وقال الذهبي: «قد وهم من سماها: رملة. تلك أم حبيبة»[١].

وقال أبو عمر: «يقال: اسمها رملة. وليس بشيء»[٢].

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: «هند»[٣].

وذكر ابن قتيبة: «أم سلمة» ولم يذكر هنداً[٤].

وزاد القرطبي بقوله: «القرشية»[٥].

وزاد ابن الأثير: «المخزومية»[٦].

قال ابن القيم: «اسمها هند بنت أبي أمية حذيفة بن المغيرة القرشية المخزومية»[٧].

وزاد النويري في نهاية الأرب: «ابن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي القرشية المخزومية»[٨].

وزاد الذهبي بقوله: «القرشية المخزومية»[٩]. واختلف ابن حجر - رضي الله عنه - بقوله: «عمرو، وليس عمر»[١٠].

(١) سير أعلام النبلاء ج٢، ص٢٠١.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ج٤، ص٣٤٠.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج١، ص٨٠٢.

(٤) انظر: المعارف، ص ٦٠.

(٥) الاستغناء في معرفة المشهورين ج١، ص٣٠٦.

(٦) أسد الغابة ج٧، ص٦٣٠.

(٧) زاد المعاد ج١، ص١٠٨، ومئة أوائل من النساء، ص ١٠١.

(٨) نهاية الأرب في فنون الأدب السفر ١٨، ص ١٧٩.

(٩) سير أعلام النبلاء ج٢، ص٢٠١ وفي ٢٠٢، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير. والأعلام «المغازي» ص ٢٥٥، والإصابة في تمييز الصحابة ج٤، ص٣٤٠.

(١٠) الإصابة في تمييز الصحابة ج٤، ص٣٤٠، ومسانيد أمهات المؤمنين ص٣٥.

وزاد الإمام الدمشقي على النويري: «لؤي بن غالب»[١].

قال الزركلي في «الأعلام»: «هند بنت سهيل المعروف بأبي أمية بن المغيرة القرشية المخزومية»[٢].

وزاد ابن حجر في «تهذيب التهذيب» بقوله: «المخزومية»[٣]. ولم يذكر مؤلف «سمط النجوم العوالي»: عمر في نسب أم سلمة. وزاد: «ابن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي»[٤].

وقال محمود الاستانبولي: «هند بنت أبي أمية بن المغيرة، المخزومية القرشية»[٥].

وقال محمد رضا: «أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية»، وسماها هندًا[٦].

وقال الشافعي: «هند بنت أبي أمية بن المغيرة»[٧].

والأظهر أن اسمها الأول هند كما أشارت إلى ذلك معظم الروايات.

---

(١) كتاب أزواج النبي ﷺ ص ٢٨، وفي ١٤٧.

(٢) الأعلام قاموس تراجم ج٨، ص٩٧.

(٣) تهذيب التهذيب ج١٢، ص٤٥٥.

(٤) سمط النجوم العوالي ج١، ص٣٨.

(٥) نساء حول الرسول ﷺ ص٦٩، و: الرسول العربي المربي، ص ١٤٨، و: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ج٢، ص٣٤٦.

(٦) انظر: محمد رسول الله ﷺ ص٣٦١.

(٧) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ج٢، ص١٧٥.

اسم أبيها:

لقد اختلف في اسم أبيها أيضًا:

قال القرطبي: «اسمه حذيفة، وقيل: سهيل»[(١)].

وقال ابن الجوزي: «اسمه سهل»[(٢)].

وقال ابن القيم اسمه: «حذيفة بن المغيرة»[(٣)].

وقال الإمام الدمشقي: «اسمه سهيل»[(٤)].

قال ابن سيد الناس في «عيون الأثر»: «اسمه أمية»[(٥)].

قال الزركلي: «اسمه سهيل، ويقال: حذيفة»[(٦)].

ويمكن التوفيق بين الأقوال التي وردت عن نسب أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- على النحو التالي:

أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها-، هند بنت أبي أُمية حذيفة بن المغيرة ابن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشية المخزومية.

---

(١) الاستغناء في معرفة المشهورين ج١، ص٣٩٠٦، و: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ص ٢٥٥. وتهذيب التهذيب ج١، ص٤٥٥، والإصابة في تمييز الصحابة ج٤، ص٣٤٠.

(٢) الوفا بأحوال المصطفى ج٢، ص٣٤٩.

(٣) زاد المعاد ١/ ١٠٦، ونهاية الأرب في فنون الأدب ج١٨، ص١٧٩، وسير أعلام النبلاء، ج٢، ص٢٠١-٢٠٢، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير «المغازي» ص٥٩٧، ومسانيد أمهات المؤمنين ص٣٥.

(٤) كتاب أزواج النبي ﷺ ص٢٨، والطبقات الكبرى ج٨، ص٨٦، وسمط النجوم العوالي ج١، ص١٧٥، وتاريخ الأمم والملوك ١٣/ ٧١، نزهة المجالس ومنتخب النفائس ٢/ ١٧٥.

(٥) عيون الأثر ج١، ص٣٨١.

(٦) الأعلام قاموس تراجم ٨/ ٩٧.

ومما يؤكد أن أم سلمة -رضي الله عنها- بنت أبي أمية ما حصل لها عندما قدمت إلى المدينة، «وذلك أن أم سلمة -رضي الله عنها- أخبرت: أنها لما قدمت للمدينة أخبرتهم: أنها بنت أبي أمية فكذبوها، حتى أنشأ أناس منهم الحج، فقالوا: أتكتبين إلى أهلك؟ فكتبت معهم، فرجعوا فصدقوها، وازدادت عليهم كرامة»[(١)].

اسم أمها:

وقد اختلف في نسب أمها أيضًا.

قال النويري: «عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن خزيمة بن علقمة ابن فراس»[(٢)].

وزاد ابن حجر «الكنانية من بني فراس»، ولم يذكر خزيمة بن علقمة[(٣)].

وقال الطبري: «عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن عبدالمطلب» فزاد «ابن عبدالمطلب»[(٤)].

---

(١) الطبقات الكبرى ج٨، ص٩٣، وسير أعلام النبلاء، ج٢، ص٢٠٦، والإصابة في تمييز الصحابة ج٤، ص٢٤١، وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ج١٣، ص٦٩٩، وحياة الصحابة ج٢، ص٦٥٧ وفيه قالوا: (تكتبي).

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ج١٨، ص١٧٩. وأزواج النبي اللاتي دخل بهن ص ١٤٧. وعيون الأثر ج١، ص٣٨٢.

(٣) انظر الإصابة في تمييز الصحابة ج٤، ص٣٤٠، ومسانيد أمهات المؤمنين، ص٣٥، ونساء حول الرسول ﷺ ص٦٩، ومئة أوائل النساء ص١٠٠.

(٤) انظر: السمط الثمين، ص١٣٣.

واختلف ابن سعد فقال : «ابن مالك بن جريمة (بالجيم والراء) بن علقمة جذل الطعان بن فراس بن غنم بن مالك بن كنانة»[١] .

وزادت بنت الشاطئ : «ابن جريمة (بالجيم والراء) الكنانية من بني فراس، وكان جدها جريمة بن علقمة يلقب بجزل الطعان»[٢] .

«ومن قال : إنها عاتكة بنت عبدالمطلب فجعلها بنت عمة لرسول الله ﷺ فقد أخطأ، وإنما هي بنت زوجها»[٣] .

ومما يؤكد خطأ ذلك أن عاتكة بنت عبد المطلب ذكرت من ضمن عمات رسول الله ﷺ، وأنها تزوجت أبا أمية بن المغيرة المخزومي[٤] .

زوجها:

كانت أم سلمة -رضي الله عنها- «تحت أبي سلمة[٥]، واسمه عبدالله بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم»[٦]، «وأمه عمة

(١) الطبقات الكبرى ج٨، ص٨٦، وتاريخ الأمم والملوك ج١٣، ص٧١.

(٢) نساء النبي ﷺ : ٣١٦.

(٣) أزواج النبي ﷺ اللاتي دخل بهن ص١٤٧. والسمط الثمين، ص١٣٣، والمقصود «ببنت زوجها» أنها بنت أبي أمية بن المغيرة زوج عاتكة.

(٤) انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة ج١، ص٣٩، وأزواج النبي ﷺ ص١٤٧.

(٥) الطبقات الكبرى ج٨، ص٨٧، وانظر: المعارف ص١٣٧، والوفا بأحوال المصطفى ج٢، ص٣٤٩، وأسد الغابة ج٥، ص٥٦٠، وسير أعلام النبلاءج٢، ص٢٠٢، وتهذيب التهذيب ج١، ص١٥٦، والإصابة في تمييز الصحابة ج٤، ص٩٥، وأزواج النبي ﷺ ص١٤٨.

(٦) الطبقات الكبرى ج٨، ص٨٧، وانظر: كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص٨٠٢، ونهاية الأرب في فنون الأدب السفر ١٨ ص١٧٩، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام «المغازي» ص٢٥٥.

رسول الله ﷺ برة بنت عبدالمطلب»[1]، «وكان أخا النبي ﷺ من الرضاع، أرضعتهما وحمزة ثويبة مولاة أبي لهب»[2].

إخوانها:

١- عبدالله بن أمية[3]:

قال ابن قتيبة: أخوها «عبدالله بن أبي أمية» كان من أشد قريش عداوة

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج١، ص١٣٩، وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة ج٤، ص٩٥. ونهاية الأرب في فنون الأدب السفر ج١٨، ص١٧٩. وأزواج النبي ﷺ، ص ١٤٨.

(٢) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام «المغازي» ص ٢٥٥.

(٣) اسمه عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم المخزومي. أمه عاتكة بنت عبدالمطلب. كان عبدالله شديداً على المسلمين. قيل: هو الذي قال: ﴿**وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا**﴾ [الإسراء: ٩٠] وما بعدها. ثم أسلم قبل فتح مكة بيسير، وحسن إسلامه. انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام «المغازي» ص٥٩٧. قال ابن إسحاق: «وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ أيضاً بنبق العقاب، فيما بين مكة والمدينة فالتمسا الدخول عليه فكلمته أم سلمة فيهما، فقالت: يا رسول الله، ابن عمك وابن عمتك وصهرك، قال: لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال. قال: فلما خرج الخبر إليهما بذلك، ومع أبي سفيان بُنيٌّ له. فقال: والله ليأذنن لي، أو لآخذن بيدي بني هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما، فدخلا عليه فأسلما» انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٣٤، وجوامع السيرة النبوية ص١٧٩.

وهو الذي قال (له) هيث المخنث: يا عبدالله، إن فتح الله عليكم الطائف، فإني أدلك على ابنة غيلان (الحديث: ذكر في صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت، ج٧، ص٥٥، كما ورد في صحيح مسلم، كتاب السلام، باب منع المخنث من الدخول على النساء الأجانب (٢١٨٠) ج٤، ص١٧١٥، كما ورد أيضًا في صحيح سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب في المخنثين (١٩٠٢) ج١، ص٣٢١، وفي كتاب المغازي، باب غزوة الطائف ج٥، ص١٠٢).

وقيل: إنه أسلم يوم الفتح. انظر الكامل في التاريخ: ج٢، ص٧٦.

للنبي ﷺ، ثم أسلم واستشهد يوم الطائف[١]، وذكر الذهبي أن عبدالله بن أبي أمية أخو أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها[٢].

زهـــير:

قال ابن الأثير: إن عاتكة بنت عبدالمطلب ولدت لأبي أمية بن المغيرة المخزومي زهيراً وعبدالله، وهما أخوا أم سلمة زوج النبي ﷺ[٣]، وعلى ذلك يكون عبدالله وزهير أخوي أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها من ناحية الأب لا الأم.

ولقد اختلف الطبري في نوعية القرابة بين أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها وبين عبدالله بن أمية فقال: «وأخوالها لأبيها عبدالله وزهير ابنا عمة رسول الله ﷺ»[٤]، فجعلهم أخوالاً لها، وليس إخوانًا.

مسعود:

فلقد قال الذهبي «مسعود بن أبي أمية المخزومي أخو أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها»[٥].

وأم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- بنت عم خالد بن الوليد وأبي جهل، كما قال ذلك الذهبي: «إن أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- هي بنت عم خالد بن الوليد - سيف الله - وبنت عم أبي جهل بن هشام»[٦].

---

(١) انظر: المعارف ص٦٠.

(٢) انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام «المغازي» ص٥٩٧.

(٣) انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة ج١، ص٣٩، وأزواج النبي، ص١٤٧.

(٤) السمط الثمين ص١٣٣.

(٥) من المشركين الذين قتلوا في يوم بدر، انظر: تاريخ الإسلام «المغازي» ص١٢٦، وجوامع السيرة النبوية ص٩١١.

(٦) سير أعلام النبلاء ج٢، ص٢٠١، والمعارف ص٦٠.

المبحث الثاني

مبادرتها إلى الإسلام وتحملها الأذى فيه

حينما تلقى رسول الله ﷺ الوحي من السماء بدأ يدعو الناس إلى دين الإسلام دين الحق. ولم يكن أحد أولى بدعوة الرسول ﷺ من زوجته أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وأخلص أصدقائه أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ولهذا رأينا الدعوة قد بدأت سرية تعلن لكل فرد على حده حتى يهتدي بهدي الإسلام.

وكانت هذه الاستجابة الفورية من أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- تعني سنداً للرسول ﷺ في دعوته.

فعن ابن إسحاق قال: «انطلق أبو عبيدة بن الحارث وأبو سلمة بن عبدالأسد وعبدالله بن الأرقم المخزومي وعثمان بن مظعون حتى أتوا رسول الله ﷺ، فعرض عليهم الإسلام، وقرأ عليهم القرآن، فأسلموا وشهدوا إنه على هدى ونور»[1].

وحيث إن المراجع التي رجعت إليها لم تشر إلى تاريخ إسلام أم سلمة رضي الله عنها إلا أنه يتضح من معظم كتب السيرة[2] أن أبا سلمة كان من

---

(١) كتاب السير والمغازي ص ١٤٤.

(٢) كتاب السير والمغازي ص١٤٤- الروض الأنف ج١ ص٢٩٠، أسد الغابة ج٥، ص٢١٨، والبداية والنهاية ج٣، ص٣٣، وتاريخ ابن خلدون ج٣، ص ٧١٦، سبل الهدى والرشاد ج٢، ص ٤١٢.

السابقين إلى الإسلام، بل إنه يعد الحادي عشر في الترتيب، فقد قال ابن إسحاق: «أسلم بعد عشرة أنفس، فكان الحادي عشر من المسلمين»[(١)].

وكان في ذلك الوقت متزوجًا من أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، ومما يؤيد ذلك أن أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها- كانت هي وزوجها أبو سلمة من أوائل المهاجرين إلى الحبشة[(٢)]، وكان ذلك في السنة الخامسة من مبعث رسول الله ﷺ[(٣)].

فعن ابن اسحاق قال: وكان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة قبل هجرة جعفر وأصحابه... ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة: أبو سلمة بن عبد الأسد معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية[(٤)].

ويؤيد هذا الاستنتاج الذي توصلت إليه قول الزركلي في «الأعلام» أن أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- قديمة الإسلام[(٥)].

ومما سبق يتضح كيف أن أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- كانت من أوائل الذين استجابوا لدعوة الرسول ﷺ.

---

(١) الاستيعاب ج٣، ص ٩٤٠.

(٢) انظر: السمط الثمين ج٢، ص٢٢٢، والطبقات الكبرى ج١، ص٢٠٤، وزاد المعاد ج٣، ص٣١، وفقه السيرة ص٦٨، والسيرة النبوية للذهبي ص١١١، والإصابة في تمييز الصحابة ج٤، ص٢٤٠، وسبل الهدى والرشاد ج٢ ص ٤٨٥، وعيون الأثر ج١، ص ٣٨١، والسيرة الحلبية ج٢، ص٤.

(٣) انظر الاستيعاب ج٣، ص ٩٤٠، والسيرة الحلبية ج٢، ص ٤.

(٤) انظر: كتاب السير والمغازي ص١٧٦.

(٥) انظر: الأعلام ج٨، ٩٨.

تحملها الأذى في سبيل الإسلام:

ما إن علم المشركون بإسلام عدد من رجال ونساء قريش إلا وحاولوا إيذاءهم وإبعادهم عن هذا الدين الذي يرون أنه دخيل عليهم. ولقد تعددت صنوف الإيذاء للمسلمين نساء ورجالا، ولكن محاولات المشركين هذه لم تقلل من عزيمة المسلمين، بل زادتهم إيمانًا وتصديقًا. ولكون أم المؤمنين أم سلمة هي وزوجها -رضي الله عنهما- كانا من أوائل من استجاب للدعوة النبوية المباركة فلقد ذاقا صنوفاً من العذاب، ولكنهما صبرا واحتسبا ومن ذلك:

١- فراقها لبلدها بالهجرة إلى الحبشة:

فقد ورد عن أم سلمة -رضي الله عنها- أنها قالت: «لما ضاقت علينا مكة وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك الأذى عنهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه»[(١)].

وأم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- في تحملها آلام الغربة، وفراق الأهل والوطن لم تفكر إلا في كيفية أدائها للعبادات في جو آمن مطمئن، تركع، وتسجد وتعبد الله تعالى، لا ينغص عليها المشركون خلوتها في التعبد، وما كان من سبب لحرصها على وجود هذا الجو الآمن إلا قوة في

(١) كتاب السير والمغازي ص٢١٣.

إيمانها بما جاء به رسول الله ﷺ من الله تعالى، فلقد روت أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- شعورها بالطمأنينة، وفرحتها بكونها في مكان بعيد عن الأذى يجعلها تضع كل جهدها في عبادة الله وحده حيث قالت: «لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمنا على ديننا، عبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه»[1].

ويشير أيضاً قولها: «ونحن عنده بخير دار عند خير جار»[2]. إلا أن رغبتها وفرحتها بتمكينها من عبادة الله تعالى في هذه البلاد بلاد الحبشة جعلتها تصف جوارها للنجاشي ملك الحبشة كأنه بيتها بل وأفضل من بيت أقاربها وجيرانها الذين أذاقوها الأذى، وحاولوا إجبارها على ترك دينها واتباع رسول الله ﷺ، كما وصف ذلك جعفر بن أبي طالب أيضاً في حديثه إلى النجاشي ملك الحبشة الذي أحضر المهاجرين، وسألهم عن دينهم، فأجابه قائلاً: إن هذا الدين جاءنا ونحن قوم أهل جاهلية، لا نعرف التوحيد، ولا نصل الأرحام، ولا نقدر ضعيفنا ولا نواسيه، فدعانا إلى عبادة الله وحده، واستجبنا لذلك «فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك»[3].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام القسم الأول ص٢٦٤.

(٢) المرجع السابق، القسم الأول، ص ٢٦٤.

(٣) المرجع السابق، القسم الأول، ص ٢٦٦.

فراقها لابنها وزوجها:

لما عادت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها من الحبشة إلى مكة المكرمة، واستمر أذى المشركين للمؤمنين، قررت الرحيل إلى المدينة مهاجرة بدينها إلى الله مع زوجها أبي سلمة رضي الله عنه، وابنها سلمة، فذاقت الكثير من العناء، ومنعت من مرافقة زوجها أبي سلمة رضي الله عنه، وعاشت تجربة قاسية، وهي تشاهد بني عبد الأسد ينتزعون منها ابنها سلمة بالقوة، حتى خلعوا يده، فلم تثنها هذه المعاناة عن الالتزام بدينها، بالرغم من أن بني المغيرة أجبروها على البقاء عندهم بعيدة عن ابنها الذي أخذه بنو عبدالأسد، وزوجها الذي هاجر إلى المدينة، فكان أول المهاجرين إلى المدينة المنورة، وذلك عندما أمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة، فكانت هجرته قبل البيعة الأولى بسنة[1].

وقال ابن إسحاق: «وكان ممن قدم على رسول الله ﷺ وشهد بدراً من بني مخزوم: أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم»[2]. وعلى الرغم من هذه الآلام التي أصابت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها إلا أن عزيمتها لم تهن، فكانت تخرج كل صباح تدعو الله تعالى أن يفرج كربها، وأن يعيد سلمة إلى أبيه بالالتحاق به إلى المدينة والفرار بدينها إلى الله. فعقدت العزم على الهجرة إلى المدينة بعدما سمح لها بنو المغيرة.

---

(١) انظر الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٠١، والسيرة النبوية للذهبي ص ٢١٢، وشرح محمد الزرقاني على المواهب اللدنية/ ٣٧٠.

(٢) كتاب السير والمغازي، ص ٢٢٣.

هجرتها إلى المدينة بمفردها:

وكان مصابها عظيماً حينما هاجرت وحيدة دون رفيق يؤنس وحشتها، وتبين أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ذلك عندما سألها عثمان بن طلحة ابن أبي طلحة: هل معك أحد؟ فقالت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها: «لا والله إلا الله وابني هذا»[1].

وكل هذه الأهوال احتملتها أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها بعزيمة المؤمنة الصابرة، الراضية بقضاء الله وقدره، ولو تصور أحدنا بعد المشقة، وطول المسافة، ووحشة الطريق، وحر النهار، وظلمة الليل، ومشقة السفر لأدرك ما لقيته أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها في سبيل محافظتها على عقيدتها، ودينها، وحرصها على اللحاق برسول الله ﷺ، والانضمام إلى زوجها ووالد طفلها[2].

معاناة أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- عند وصولها المدينة المنورة:

ولم تنته معاناة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها بوصولها إلى زوجها في المدينة المنورة، فلقد بدأت معاناة جديدة تمثلت في عدم تصديق أهل المدينة لها بأنها بنت أبي أمية، وعاشت بين أهل المدينة وهم لا يصدقون بأنها بنت أبي أمية حتى نوى قوم الحج، فطلبوا منها الكتابة إلى أهلها من بني

(١) السيرة النبوية لابن هشام القسم الأول، ص ٤٦٩.

(٢) انظر: من أعلام النساء، ص١٧٩.

أمية، فكتبت معهم، فعادوا مصدقين لها، وازدادت عليهم كرامة[1].

وكانت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها تتحدث عن تحملها الأذى في سبيل هذا الدين قائلة: «والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة»[2].

إنها صلابة امرأة مؤمنة علمت بالدعوة فآمنت بها، وضحت بكل شيء في سبيلها، وهانت عليها آلام الفرقة والغربة. وما أقل التضحيات في زماننا هذا! فكيف بامرأة تترك أهلها ووطنها، وتهاجر وحيدة إلى أرض غريبة فراراً بدينها، وبذلك ضربت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها مثلا رائعًا للنساء.

* * *

(١) انظر: الطبقات الكبرى ج٨، ص٩٣، وسير أعلام النبلاء ج٢، ص٢٠٦، والإصابة في تمييز الصحابة ج٤، ص ٢٤١، وكنز العمال ج١٣، ص٦٩٩، لقد سبق ذكر الرواية في مبحث أسرتها من الفصل الأول.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام القسم الأول ص٤٧٠، والسمط الثمين ص١٣٦.

المبحث الثالث

هجرتها إلى الحبشة

شعرت قريش بازدياد عدد المسلمين يوماً بعد آخر، فلجأت إلى اتباع طرق كثيرة لإبعاد المسلمين عن دينهم الذي ارتضوه، وقامت قريش ومن تبعهم من القبائل التي فيها مسلمون بحبس وتعذيب المسلمين، كما قاموا بتجويعهم وضربهم، ومنع الماء عنهم، خاصة إذا اشتد الحر في رمضاء مكة، حتى لا يستطيع أحدهم أن يستوي جالساً من شدة الضر به، وأقرب مثال لتعذيبهم للمسلمين ما أصاب بلال بن رباح رضي الله عنه[1]، «فقد كان صادق الإسلام، طاهر القلب، وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول - وهو في ذلك - : أحد أحد. ثم يمر أبو بكر على بلال رضي الله عنه وهو يعذب، فيشتريه من أمية بعبد له أسود، فأعتقه وأراحه من العذاب»[2].

الهجرة الأولى إلى الحبشة:

قال محمد بن إسحاق: «فلما رأى رسول الله ﷺ ما أصاب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكان من الله عز وجل، ومن عمه أبي

(١) بلال بن رباح: بلال بن رباح الحبشي مؤذن الرسول ﷺ أحد السابقين إلى الإسلام، توفي في دمشق، روى له البخاري ومسلم أربعة وأربعين حديثاً. انظر: الأعلام ج٢، ص٤٩.

(٢) البداية والنهاية في التاريخ ج٣، ص٦٤، سبل الهدى والرشاد ج٢، ص ٤٧٦- ٤٧٨، حدائق الأنوار القسم الأول ص ٣١٥.

طالب وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء»[1]. قال لهم رسول الله ﷺ: تفرقوا في الأرض، فقالوا: أين نذهب يا رسول الله؟ قال: ههنا، وأشار إلى الحبشة[2].

وفي رواية أخرى أنه ﷺ قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه.

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، واستجابة لأمر رسول الله ﷺ، فكانت أول هجرة في الإسلام.

فكان أول من خرج من المسلمين: عثمان بن عفان أبي أبي العاص بن أمية وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ»[3].

وروى الواقدي: أن خروجهم إلى الحبشة كان في رجب سنة خمس من البعثة، وأن أول من هاجر منهم - اثنا عشر رجلا وأربع نسوة[4] وأنهم

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج٨، ص ٢٥٥، والبداية والنهاية ج٣، ص٦٥.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى ج١، ص٢٠٣-٣٠٤.

(٣) سيرة ابن هشام ج١، ص ٢٥٥، والبداية والنهاية في التاريخ ج٣، ص ٦٤، سبل الهدى والرشاد ج٢، ص ٤٨٥، وحدائق الأنوار القسم الأول، ص ٣١٥.

(٤) انظر: زاد المعاد ج٣، ٨ص٢٣، «وقيل: وامرأتان وقيل: عشرة رجال»، «وقيل: كان أهل الهجرة الأولى أحد عشر رجلا» انظر: فتح الباري ج٧، ص١٨٨، وفي شرح محمد الزرقاني على المواهب اللدنية ج١، ص٣١٤ «قيل: اثني عشر رجلا وأربع نسوة، وقيل: وخمس نسوة». ومختصر سيرة الرسول ﷺ ص٦١.

(١) انظر: فتح الباري ج٧، ص١٨٨، وفي شرح محمد الزرقاني على المواهب اللدنية ج١، ص

انتهوا إلى البحر ما بين ماش وراكب، فاستأجروا سفينة بنصف دينار إلى الحبشة[1] «وهم: عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، وأبو حذيفة بن عتبة وامرأته سهلة بنت سهيل، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو سلمه بن عبدالأسد، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية، وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة العنزي، وامرأته ليلى بنت أبي جثمة، وأبو سبرة بن أبي رهم، ويقال: بل أبو حاطب بن عمرو، وسهيل بن بيضاء، وعبدالله بن مسعود[2] رضي الله عنهم أجمعين»[3].

وقال ابن هشام: «وكان عليهم عثمان بن مظعون فيما ذكر بعض أهل العلم»[4].

قال ابن إسحاق: ثم خرج جعفر بن أبي طالب ومعه امرأته أسماء بنت عميس، وولدت له عبدالله بن جعفر، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة فكانوا بها[5]. ومنهم من هاجر أهله معه، ومنهم من هاجر بنفسه حتى قدموا أرض الحبشة[6].

٣١٥، وسبل الهدى والرشاد ج٢، ص ٤٨٦.

(٢) «جزم ابن إسحاق بأنه كان في الهجرة الثانية» انظر: فتح الباري ج٧، ص ١٨٩.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ج١، ص٢٥٥-٢٥٦، والطبقات الكبرى ج١، ص٢٠٣- ٢٠٤، والكامل في التاريخ ج٢، ص٧٦- ٧٧، وزاد المعاد ج٣، ص ٢٣، والسيرة النبوية للذهبي ص١١٠-١١٢، والبداية والنهاية ج٢، ص ٦٣ وفي ص ٦٤- ٧٣، سبل الهدى والرشاد ج٢، ص ٤٨٥، والسيرة الحلبية ج١ ص٣٢٣-٣٢٤.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ج١، ص ٢٥٦، والبداية والنهاية ج٣، ص ٧٤، وفتح الباري ج٧، ص ١٨٩.

(٥) انظر: السيرة النبوية للذهبي ص١١١، والبداية والنهاية في التاريخ ج٣، ص٧٤.

(٦) انظر: الطبقات الكبرى ج١ ص٢٠٤، والسيرة النبوية للذهبي ص ١١١.

عودة المسلمين من أرض الحبشة إلى مكة المكرمة وسببها:

مكث المسلمون في أرض الحبشة بقية رجب وشعبان إلى رمضان، ثم رجعوا إلى مكة في شوال لما بلغهم: أن قريشًا صافوا رسول الله ﷺ، وكفوا عنه، وكان ذلك سنة خمس من النبوة(١).

ويورد ابن إسحاق تفصيلا لعودة المهاجرين من الحبشة إلى مكة مبينًا سبب عودتهم إلى أنه قد بلغهم أن أهل مكة أسلموا، فلما رجعوا ودنوا من مكة بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكه كان باطلا، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفيًا(٢).

وقد ذكر ابن إسحاق أن ممن دخل مكة بجوارٍ أبا سلمة بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم دخلً بجوار من أبي طالب بن عبدالمطلب(٣).

ويروى أن عدد المسلمين الذين قدموا على رسول الله ﷺ من أرض الحبشة إلى مكة ثلاثة وثلاثون رجلاً(٤).

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى ج١، ص ٢٠٣-٢٠٤، والكامل في التاريخ ج٢، ص ٧٧، وسبل الهدى والرشاد ج٢، ص ٤٨٩، والسيرة الحلبية ج١، ص ٣٢٤، ومختصر سيرة الرسول ﷺ ص٦٢.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٥-٨، والكامل في التاريخ ج٨، ص٧٧، ونهاية الأرب في فنون الأدب السفر ١٨ ص ٢٦٢-٢٦٤.

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ج٢، ص٥-٨، الكامل في التاريخ ج٢، ص٧٧، ونهاية الأرب في فنون الأدب السفر ١٨، ص٢٦٢-٢٦٤، وحدائق الأنوار القسم الأول ص ٣٢٢، والسيرة الحلبية ج١، ص ٣٢٧- ٣٢٨.

(٤) انظر: مختصر سيرة الرسول ﷺ ص٦٣، والطبقات الكبرى ج١ص٢٠٧.

قال ابن إسحاق:

«إن أبا سلمة لما استجار بأبي طالب، مشى إليه رجال من بني مخزوم، فقالوا [له]: يا أبا طالب، لقد منعت منا ابن أخيك محمداً، فما لك ولصاحبنا تمنعه منا؟! قال: إنه استجار بي وهو ابن أختي، وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي؛ فقام أبو لهب، فقال: يا معشر قريش، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ، ما تزالون توثبون عليه في جواره من بين قومه، والله لتنتهن عنه أو لنقومن معه في كل ما قام فيه، حتى يبلغ ما أراد. قال؛ فقالوا: بل نصرف عما تكره يا أبا عتبة»[1].

الهجرة الثانية إلى الحبشة:

لما قدم أصحاب النبي ﷺ إلى مكة من الهجرة الأولى اشتد عليهم قومهم، وسطت بهم عشائرهم، ولقوا منهم أذى شديداً، فأذن لهم رسول الله ﷺ في الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية، فكان خروجهم الأخير أعظمها مشقة، ولقوا من قريش تعنيفاً، ونالوهم بالأذى، واشتد عليهم ما بلغهم عن النجاشي من حسن جواره لهم، فقال عثمان بن عفان: يا رسول الله، الأولى وهذه الآخرة إلى النجاشي ولست معنا؟ فقال رسول الله ﷺ: أنتم مهاجرون إلى الله وإلي، لكم هاتان الهجرتان جميعاً، قال عثمان: فحسبنا يا رسول الله[2].

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج٢، ص ١٠ وسبل الهدى والرشاد ج٢، ص ٤٩٠.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى ج١، ص ٢٠٧، ونهاية الأرب السفر ١٨، ص ٢٤١، ومختصر سيرة الرسول ﷺ، ص ٦٢-٦٣.

وقال الواقدي: «إن الهجرة الثانية كانت سنة خمس من المبعث[١].

وكان عدد من خرج في هذه الهجرة من الرجال ثلاثة وثمانين رجلا، ومن النساء إحدى عشرة امرأة قرشية وسبع غرائب[٢]، فأقام المهاجرون بأرض الحبشة عند النجاشي في أحسن جوار[٣]، وقال ابن اسحاق: ثلاثة وثمانين رجلا، إن كان عمار بن ياسر منهم وهو يشك فيه»[٤].

إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها:

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أمنوا وأطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جلدين إلى النجاشي، فيردوهم عليهم؛ ليفتنوهم في دينهم، ويخرجوهم من دارهم، التي أطمأنوا بها، وأمنوا فيها، فبعثوا عبدالله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص بن وائل، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته[٥]، ثم بعثوهما إليه[٦].

---

(١) السيرة النبوية للذهبي ص ١١٧.

(٢) ورد في مختصر سيرة الرسول ﷺ «ومن النساء تسع عشرة امرأة»، ص ٦٣.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى ج١، ص ٢٠٧، ونهاية الأرب، السفر ١٨ ص٢٤١، وفتح الباري ج٧، ص ١٨٩، ومختصر سيرة الرسول ﷺ ص ٦٢-٦٣.

(٤) البداية والنهاية ج٣، ص٧٦.

(٥) البطارقة: جمع بطريق وهو القائد والحاذق بالحرب (لسان العرب مادة بطرق ج١، ص٤٣٠).

(٦) قيل: إن قريشاً بعثت إلى النجاشي في أمر المهاجرين مرتين الأولى مع عمرو بن العاص وعمارة، والثانية مع عمرو وعبدالله بن أبي ربيعة. انظر: دلائل النبوة ج١، ص ١٩٧.

حديث أم سلمة رضي الله عنها عن رسولي قريش إلى النجاشي:

قال ابن إسحاق: عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة قالت:

«لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمنا على ديننا، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم[1]، فجمعوا له أدماً كثيراً - وذكر موسى بن عقبة أنهم أهدوا إليه فرساً وجبة ديباج[2] - ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبدالله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته، قبل أن تكلما النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هداياه، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم، قالت: فخرجا حتى قدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار، عند خير جار، فلم يبق بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، وقالا لكل بطريق منهم: إنه قد ضوى[3] إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم؛ ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عيناً، وأعلم مما عابوا عليهم؛ فقالوا لهما: نعم.

(١) الأدم: الجلود وهو اسم جمع (لسان العرب مادة أدم ج١ ص٩٦).

(٢) البداية والنهاية ج٣، ص٨٠.

(٣) ضوى: انضم ولجأ (لسان العرب مادة ضوا ج٨، ص١٠٤).

ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً[1]، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي. قالت: فقالت بطارقته حوله: صدقا أيها الملك، وقومهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمْهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم. قالت: فغضب النجاشي، ثم قال: لا ها الله[2]، إذا لا أسلمهم إليهما، ولا يكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم، فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاوروني».

الحوار الذي دار بين المهاجرين والنجاشي:

قالت: «ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: «ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟»

(١) أعلى بهم عيناً: أبصر بهم من غيرهم (لسان العرب مادة عين ج٩، ص٥٠٦).
(٢) ها الله: أي لا والله (لسان العرب، مادة ها ج١٥، ص٩).

قالوا: «نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن». فلما جاؤوا، وقد دعا النجاشي أساقفته[1]، فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم، فقال لهم: «ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا [به] في ديني، ولا في دين أحد من هذه الملل؟».

قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب [رضوان الله عليه] فقال له: «أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف؛ فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات؛ وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - قالت: فعدد عليه أمور الإسلام- فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك؛ ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك».

---

(١) الأساقفة: علماء النصارى الذين يقيمون لهم دينهم، واحدهم أسقف (لسان العرب مادة سقف ج٦ ص ٢٩٨)

قالت: فقال له النجاشي: «هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟»

قالت: فقال له جعفر: «نعم»، فقال له النجاشي: «فاقرأه علي؛ قالت: فقرأ عليه صدراً من ﴿ **كهيعص** ﴾[1]. قالت: فبكى والله النجاشي حتى اخضلت[2] لحيته، وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم؛ ثم قال [لهم] النجاشي: «إن هذا والذي جاء به عيسى[3] ليخرج من مشكاة[4] واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون».

رأي المهاجرين في عيسى أمام النجاشي:

قالت: فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص: «والله لآتينه غداً عنهم بما أستأصل به خضراءهم[5]» قالت: فقال له عبدالله بن أبي ربيعة، وكان أتقى الرجلين فينا: «لا نفعل؛ فإن لهم أرحاماً، وإن كانوا قد خالفونا» قال: «والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد».

قالت: ثم غدا عليه من الغد، فقال له: «أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولا عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه». قالت: فأرسل إليهم؛ ليسألهم عنه.

---

(١) سورة مريم، آية١.

(٢) اخضلت لحيته: ابتلت بالدموع (لسان العرب مادة خضل ج٤، ص ١٢٩).

(٣) ورد في كتاب تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام «الذي جاء به موسى» انظر: المغازي ص١٣١. «إن هذا لمن المشكاة التي خرج منها أمر موسى» انظر: حياة الصحابة ج١، ص٣٤٩.
-انظر: دلائل النبوه ذكر فيها «موسى» ج١، ص ٢٤٩.

(٤) المشكاة: الكوة. بلغة الحبشة كما قال مجاهد. وزاد بعضهم: هي الكوة التي لا منفذ لها، انظر مختصر تفسير ابن كثير ج٢، ص٦٠٦.

(٥) خضراءهم: أصلهم (لسان العرب مادة خضر ج١ ص١٢٢).

قالت: ولم ينزل بنا مثلها قط. فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟» قالوا: «نقول والله ما قال الله، وماجاءنا به نبينا، كائناً في ذلك ما هو كائن».

قالت: فلما دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟

قالت: فقال جعفر بن أبي طالب: «نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ، يقول: هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول[1]». قالت: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً، ثم قال: «والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود» قالت: فتناخرت[2] بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: «وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي - والشيوم: الآمنون - من سبكم غرم، ثم قال: من سبكم غرم، ثم قال: من سبكم غرم. ما أحب أن لي دبراً من ذهب، وأني آذيت رجلاً منكم - قال ابن هشام: ويقال: دبراً من ذهب، ويقال: فأنتم سيوم، والدبر: (بلسان الحبشة): الجبل - ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها، فو الله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه». قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار.

قالت: فو الله، إنا لعلى ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه. قالت: فو الله، ما علمتنا حزنًا حزنًا قط كان أشد علينا من حزن

(١) البتول: العذراء المنقطعة عن الرجال لا أرب لها فيهم (لسان العرب مادة بتل ج١، ص ٣١١).
(٢) تناخرت بطارقته: تكلمت بلغتهم (المرجع السابق مادة نخر ج١٤، ص ٨٢).

حزنَّاه عند ذلك، تخوفاً أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي، فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه. قالت: وسار إليه النجاشي، وبينهما عرض النيل قالت: فقال أصحاب رسول الله ﷺ: من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوام: أنا. قالوا: فأنت. وكان من أحدث القوم سناً. قالت: فنفخوا له قربة، فجعلها في صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم. قالت: فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه، والتمكين له في بلاده. قالت: فو الله إنا لعلى ذلك متوقعون ما هو كائن، إذ طلع الزبير وهو يسعى، فلمع[1] بثوبه وهو يقول: ألا أبشروا، فقد ظفر النجاشي، وأهلك الله عدوه، ومكن له في بلاده. قالت: فو الله ما علمتنا فرحنا فرحة قط مثلها. قالت: ورجع النجاشي، وقد أهلك الله عدوه، ومكن له في بلاده، واستوسق[2] عليه أمر الحبشة، فكنا عنده في خير منزل، حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة[3]»[4].

---

(١) لمع بثوبه وألمع به: إذا رفعه وحركه ليراه فيجيء إليه (لسان العرب مادة لمع ج١٢، ص ٣٢٨).

(٢) واستوسق: تمكن (لسان العرب مادة وسق ج١٥، ص ٣٠٠).

(٣) ذكر في دلائل النبوة ج١، ص ٢٥٠ (بالمدينة).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ج ص٢٦٣ إلى ص ٢٦٧، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام المغافري ج١ ص٢٨٩ - ٢٩١، ونهاية الأرب السفر ١٨ ص٢٤٧، ٢٥٠، ودلائل النبوة ج١ ص٢٤٧، ٢٥٠، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام «المغازي» ص١٣٠ - ١٣٣، والسيرة النبوية للذهبي ص ١١٦، ١١٨-١٢٠، والبداية والنهاية ج٣ ص٧٩- ٨٢، قال عند الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٦ ص ٣٠ «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير إسحاق وقد صرح بالسماع»، وحياة الصحابة ج١ ص٣٤٨ - ٣٥٣.

المبحث الرابع

هجرتها إلى المدينة

لما بايع الأنصار رسول الله ﷺ على الإسلام، والنصرة له ولمن اتبعه، اشتد سخط المشركين لهم، ولم يعد المسلمون يحتملون أذى قريش وتعذيبهم لهم، فأذن الله تعالى لرسول الله ﷺ بحرب المشركين، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، واللحاق بإخوانهم من الأنصار(١).

وقد أورد البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين، فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا وداراً تأمنون بها، فخرجوا أرسالا، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة، والهجرة إلى المدينة»(٣).

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ج٢، ص٨٤، والسيرة النبوية للذهبي ص٢١٢، والبداية والنهاية ج٣، ص١٦٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة الحبشة ج٤، ص ٢٤٤ وهذا لفظه، وانظر: السيرة النبوية للذهبي ص ٢١١، والبداية والنهاية ج٣، ص ١٩٨.

(٣) فتح الباري ج٧، ص ٢٢٦، قال أبو موسى عن النبي ﷺ قال: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل. فذهب وهلى إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب»، ورد في صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ ج٤، ص١٧٧٩ (٢٢٧٢).

هجرة أبي سلمة وزوجه وحديثها عما لقياه:

فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش، من بني مخزروم: أبو سلمة[1] بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة، وكان قد قدم على رسول الله ﷺ إلى مكة من أرض الحبشة، فلما آذته قريش، وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجراً[2].

فكانت قصة خروج أم سلمة -رضي الله عنها- مع زوجها أبي سلمة -رضي الله عنه- مأساة بالغة الأثر. نترك فيها الحديث لأم سلمة رضي الله عنها تحدثنا بلسانها عن مراحل تلك الهجرة[3].

وقال ابن إسحاق: عن سلمة بن عبدالله بن عمر بن أبي سلمة، عن جدته أم سلمة، زوج النبي ﷺ، قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل[4] لي بعيره، ثم حملني عليه، وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري[5]، ثم خرج بي يقود بي بعيره، فلما رأته رجال بني

---

(١) وفي مختصر سيرة الرسول ﷺ «وزوجته أم سلمة ولكنها حبست عنه سنة. . . .». ص٩٢، انظر أيضاً زاد المعاد ج٣، ص٤٩.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ج٢، ص ٨٥، والسيرة النبوية للذهبي ص٢١٢، والبداية والنهاية ج٣، ص ١٦٩، والسيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ج١، ص٤٥٩.

(٣) انظر: نساء حول الرسول ﷺ ص٧٠.

(٤) رحل: وضع على ظهره الرحل أو جعل عليه الرحل (لسان العرب مادة رحل ج٥، ص ١٧٠).

(٥) في حجري: أي في حضني (المرجع السابق مادة حجر ج٣، ص٥٧).

المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبْتَنا عليها، أرأيت صاحبتك[1] هذه؟علام نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده، فأخذوني منه. قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد ورهط أبي سلمة، فقالوا: لا والله، لا نترك ابننا عندها إذا نزعتموها من صاحبنا، قالت: فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا[2] يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة. قالت: ففُرِّق بيني وبين زوجي وبين ابني. قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح[3]. فما أزال أبكي، حتى أمسي سنة[4] أو قريباً منها حتى مر بي رجل من بني عمي[5] أحد بني المغيرة، فرأي ما بي[6]، فرحمني، فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون[7] هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين زوجها[8]، وبين ولدها[9]! قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت. قالت: ورد بنو عبدالأسد إليَّ عند ذلك ابني. قالت: فارتحلت

(١) في السمط الثمين [صاحبتنا] ص١٣٤، وأيضاً انظر: البداية والنهاية ص١١٩، الإصابة في تمييز الصحابة ج٤، ص٢٤٠، وحياة الصحابة ج١، ص ٣٥٨.

(٢) خلعوا: نزعوا (لسان العرب مادة خلع ج٤، ص ١٧٩).

(٣) الأبطح: إحدى ضواحي مكة (المرجع السابق مادة بطح ج١ ص ٤٢٨).

(٤) في الإصابة في تمييز الصحابة [سبعاً] ج٤، ص ٣٤٠.

(٥) في نزهة المجالس ومنتخب النفائس [من بني عامر] ج٢، ص ١٧٥.

(٦) في الإصابة في تمييز الصحابة [ما في وجهي] ج٤، ص٢٤٠.

(٧) وفي البداية والنهاية ج٣، ص ١١٩ [ألا تخرجون من هذه . . . إلخ]، وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة ج٤، ص٢٤٠.

(٨) في السيرة النبوية للذهبي لم يذكر زوجها ص٢١٢.

(٩) وزاد في السمط الثمين [وبيتها] ص ٢٣٤.

بعيري، ثم أخذت ابني[1]، فوضعته في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة. قالت: وما معي أحد من خلق الله. قالت: فقلت: أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم[2] لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة[3] أخا بني عبد الدار فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ قالت: فقلت: أريد زوجي بالمدينة. قال: أو ما معك أحد؟ قالت: فقلت: لا والله، إلا الله وبني هذا. قال: والله ما لك من متركه[4]، فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي بي[5]، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط، أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري، فحط عنه، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى عني إلى شجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الروح، قام إلى بعيري، فقدَّمه فرحله، ثم استأخر عني، وقال: اركبي. فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى، فأخذ بخطامه، فقاده، حتى ينزل بي. فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك في هذه القرية - وكان أبو سلمة بها نازلا - فادخليها على بركة الله، ثم انصرف

(١) في السيرة النبوية للذهبي [سلمة] ص٢١٢.

(٢) التنعيم: مكان بين مكة والمدينة (لسان العرب مادة نعم ج١٤، ص ٢١٥).

(٣) عثمان بن طلحة: كان حاجب بيت الله في الجاهلية، وكان يوم رافق أم سلمة مشركاً. أسلم في هدنة الحديبية، وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد، فلما فتحت مكة دفع النبي ﷺ مفاتيح الكعبة إلى عثمان بن طلحة، استشهد عثمان بن طلحة بأجنادين في خلافة عمر، رضي الله عنهما». انظر: الروض الأنف ج٤، ص ١٦١/ ١٦٢.

(٤) في الإصابة في تمييز الصحابة [مبرك] ج٤، ص ٢٤٠.

(٥) يهوي بي: أي يسرع بالسير بي (لسان العرب مادة هوا ج١٥، ص ١٦٨).

راجعاً إلى مكة[1].

قال: فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، ومارأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة[2].

«وقيل: إنها أول ظعينة[3] هاجرت إلى المدينة. والله أعلم»[4].

ويتبين من هذه القصة التي تحدثت فيها أم سلمة رضي الله عنها عن

---

(١) انظر:
- السيرة النبوية لابن هشام ج٢، ص٨٥-٨٦.
- وأسد الغابة ج٧، ص ٣٤١-٣٤٣ مع الاختلاف في اللفظ.
- والسمط الثمين ص ١٣٤-١٣٦ مع الاختلاف في الألفاظ.
- والسيرة النبوية للذهبي ص ٢١٢- ٢١٣.
- والبداية والنهاية ج٣، ص ١٦٩- ١٧٠ مع الاختلاف في الألفاظ.
- والإصابة في تمييز الصحابة ج٤، ص٢٤٠-٢٤١ مع الاختلاف في الألفاظ.
- وحياة الصحابة ج١، ص ٣٥٨-٣٥٩.
- ونزهة المجالس ومنتخب النفائس ج٢، ص١٧٥.

(٢) انظر:
- السيرة النبوية لابن هشام ج٢، ص ٨٦.
- وأسد الغابة ص ٣٤٢.
- والسمط الثمين ص ١٣٦.
- والبداية والنهاية ج٣، ص١٧٠.
- وحياة الصحابة ج١، ص ٣٥٩.

(٣) ظعينة: المرأة في الهودج، سميت به على حد تسمية الشيء باسم الشيء لقربه منه (لسان العرب، مادة ظعن، ج٨، ص٢٥٣).

(٤) أسد الغابة ج٧، ص٣٤٢، والسمط الثمين ص ٣٣١، والإصابة في تمييز الصحابة ج٤، ص ٢٤١، وكتاب الاستعاب ج١، ص ٨٠٢، وسمط النجوم العوالي ج١، ص ٣٨٣، ونهاية الأرب في فنون الأدب، السفر ١٨، ص١٧٩، وموسوعة آل النبي ﷺ ص٣١٢.

معاناتها وكيفية خروجها إلى المدينة المنورة، قوة إيمانها وثباتها على الحق بالرغم من أن قومها منعوها من مرافقة زوجها، وحرموها من فلذة كبدها، كما يوضح حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها لم تلجأ إلى أحد من أقاربها، ولم تطلب معونة أحد منهم، وإنما لجأت إلى الله سبحانه وتعالى سائلة إياه تعالى أن يمكنها من الالتحاق بالمسلمين ورؤية زوجها، وتؤكد هذه المحنة كذلك إصرار أم سلمة رضي الله عنها القوي على الاستجابة لأمر الرسول ﷺ للهجرة من مكة إلى المدينة المنورة بالرغم مما يكتنف هذه الرحلة من مخاطر لكونها ستغادر بلدها وحيدة لفترة طويلة.

وهكذا يستجيب الله تعالى لدعاء أم سلمة رضي الله عنها، فيمكنها من اللحاق بزوجها مع ولدها، وييسر الله أمرها بمرافقة رجل من أكرم أهل قريش، فيلتئم شمل الأسرة في أرض المدينة المنورة.

* * *

المبحث الخامس

ترمُّل أم سلمة[1] من أبي سلمة رضي الله عنهما

اجتمع شمل أم سلمة رضي الله عنها مع أبي سلمة رضي الله عنه في المدينة المنورة، وشارك أبو سلمة في غزوة أحد[1]، وأبلى فيها بلاءً حسنًا. إلا أن أبا سلمة رضي الله عنه أصيب في غزوة أحد[2].

فلقد ذكر عمر بن أبي سلمة أن أبا سلمة خرج إلى أحد فرماه أبو سلمة الجشمي في عضده بسهم، فمكث شهرًا يداوي جراحه، ثم برئ الجرح، وبعثه رسول الله ﷺ إلى قطن[3].

سرية أبي سلمة رضي الله عنه إلى قطن:

شارك أبو سلمة رضي الله عنه في سرية إلى قطن... فقد ورد في كتاب الطبقات لابن سعد «أن رسول الله ﷺ عقد لأبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي لواء سرية إلى قطن[4]، وهو جبل به ماء لبني أسد بن خزيمة، في هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من هجرة رسول الله ﷺ[5].

---

(١) كانت غزوة أحد في السنة الثالثة. انظر: المعارف ص٦٩.

(٢) انظر: الاستغناء في معرفة المشهورين ص٣٠٦، وسمط النجوم ص ٣٨٤، وعيون الأثر ج١ ص ٣٨٢.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى ج٨، ص٨٧، وعيون الأثر ج١ ص٣٨٢، وأزواج النبي ﷺ ص ١٤٨-١٤٩، وموسوعة أمهات المؤمنين ص١٣٩.

(٤) في سمط النجوم العوالي [جبل بنجد] ج١، ص ٣٨٥.

(٥) في سير أعلام النبلاء ج٢، ص ٢٠٣ [سنة أربع]، انظر: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ج١، ص ١٨٦.

وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ، أن طليحة وسلمة ابني خويلد قد سارا في قومهما ومن أطاعهما يدعونهم إلى حرب رسول الله ﷺ. فدعا رسول الله ﷺ أبا سلمة، وعقد له لواء، وبعث معه مائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار، وقال: سر حتى تنزل أرض بني أسد، فأغر عليهم قبل أن تتلاقى عليك جموعهم، فخرج فأغذ[1] السير، وانكب عن سنن الطريق، وسبق الأخبار، وانتهى إلى أدنى قطن، فأغار على سرح لهم، فضموه[2]، وأخذوا رعاء لهم مماليك ثلاثة، وأفلت سائرهم، فجاؤوا جمعهم فحذروهم فتفرقوا في كل ناحية، ففرق أبو سلمة أصحابه ثلاث فرق في طلب النعم والشاه، فآبوا إليه سالمين، قد أصابوا إبلا وشاء ولم يلقوا أحداً[3]. فغاب تسعاً وعشرين ليله[4]، ثم رجع فدخل المدينة لثمان خلون من صفر سنة أربع، والجرح منتقض[5]»[6].

(١) فأغذ: أسرع (لسان العرب مادة غذذ ج١٠، ص٢٨).

(٢) ورد في عيون الأثر ج١ ص٥٤ [فضمه].

(٣) انظر: الطبقات الكبرى ج٢ ج٢ ص٥٠، والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٢٣٣، والاستغناء في معرفة المشهورين ص٥٤، وتاريخ الإسلام وطبقات المشاهير ج١، ص١٨٦، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير «المغازي» ص٢٢٩، وأزواج النبي ﷺ ص ١٤٩، وسمط النجوم ج١، ص ٣٨٥، وعيون الأثر ج١، ص ٥٤.

(٤) في تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير ج١ [بضع عشرة ليلة] ص ١٨٦، وانظر أيضاً تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير «المغازي» ص٢٢٩.

(٥) منتقض: يقال: انتقض الجرح بعد البرء إذا عاد إلى حاله (لسان العرب مادة نقض ج١٤، ص ٢٦٣).

(٦) الطبقات الكبرى ج٨، ص٨٧، تاريخ الأمم والملوك ج١٣، ص٧٢ مع الاختلاف اليسير، وسير أعلام النبلاء ج٢، ص ٢٠٣، وسمط النجوم ج١، ص ٣٨٥ مع الاختلاف اليسير في اللفظ والاختصار، وعيون الأثر ج١، ص ٣٨٢ مع الاختصار، وموسوعة أمهات المؤمنين ص١٤٠.

مرض أبي سلمة رضي الله عنه:

وعندما عاد من بعثته انتكأ الجرح الذي أصاب أبا سلمة يوم أحد، فألزمه الفراش، ولقد ذكر ابن سعد في الطبقات نص الحوار الذي دار بين أبي سلمة وأم سلمة رضي الله عنهما أثناء مرضه، قالت أم سلمة: «بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة وهي من أهل الجنة، ثم لم تزوج بعده إلا جمع الله بينهما في الجنة. وكذلك إذا ماتت المرأة وبقى الرجل بعدها. فتعال أعاهدك ألاَّ تزوج بعدي ولا أتزوج بعدك». قال: «أتطيعيني[1]»؟ قالت: «ما استأمرتك إلا وأنا أريد أن أطيعك[2]». قال: «فإذا مت فتزوجي». ثم قال: «اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيراً مني، لا يحزنها، ولا يؤذيها»[3].

وكرر أبو سلمة دعاءه هذا بأن يخلف زوجاً خيراً منه وهو على فراش المرض يحتضر، حيث روت أم سلمة رضي الله عنها أنه قال وهو يحتضر: اللهم اخلفني في أهلي بخير مني[4].

---

(١) في أزواج النبي ﷺ [أتعطيني] ص١٥٣.

(٢) المرجع السابق [أعطيك] ص١٥٣.

(٣) الطبقات الكبرى ج٨، ص٨٨، وسير أعلام النبلاء، ج٢، ص٢٠٣ مع الاختصار، وأزواج النبي ﷺ ص١٥٣ مع الاختلاف اليسير في الألفاظ.

(٤) انظر: تسمية أزواج النبي ﷺ ص٥٧.

حضور رسول الله ﷺ لأبي سلمة وهو يحتضر ودعاؤه له:

حضر رسول الله ﷺ أبا سلمة رضي الله عنه وهوعلى فراش موته، وبقي إلى جانبه، يدعو له بخير حتى مات، فأغمضه بيده الكريمة، وكبر عليه تسع تكبيرات. قيل له: يا رسول الله، أسهوت أم نسيت؟ فأجاب: «لم أسه ولم أنس، ولو كبرت على أبي سلمة ألفاً كان أهلا لذلك»(١).

وهذا يؤكد تقدير الرسول ﷺ لأبي سلمة في سابقته للإسلام، وفي جهاده وصبره ورغبته في إعلاء كلمة الله تعالى.

كما ورد أيضاً الحديث عن أم سلمة رضي الله عنها ما يؤكد حرص رسول الله ﷺ على أبي سلمة رضي الله عنه حيث قالت: «دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره. فأغمضه. ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر» فضج ناس من أهله، فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير؛ فإن الملائكة يؤمِّنون على ما تقولون» ثم قال: «اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين(٢)، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين. وافسح له في قبره، ونَوِّر له فيه»(٣).

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٣، ص ١٧٧، والإصابة في تمييز الصحابة ج٨، ص ٢٤٠.

(٢) ورد في حياة الصحابة ج٣، ص ٣٤٥ [المقربين].

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حُضر (٩٢٠) ج٢ ص٦٣٤ وهذا لفظه، وفي رواية أخرى قال [اخلفه في تركته]، وقال: [اللهم أوسع له في قبره] ولم يقل: [افسح له]، وورد أيضاً في صحيح سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب تغميض الميت (٢٦٧٥) ج٢، ص ٦٠٣. وورد أيضاً في صحيح سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في تغميض الميت (١٤٥٤) ج١، ص٢٤٥، وورد في مسند الإمام أحمد ج٦، ص ٢٩٧، ومسند أبي يعلى (٦٩٩٥) ج٦، ص ٢٩٤، والمعجم الكبير (٧١٢) ج٢٣، ص ٣١٥.

موقف أم سلمة رضي الله عنها من وفاة زوجها:

تألمت أم سلمة رضي الله عنها لوفاة زوجها ألماً شديداً، وكانت تردد: «إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها»[(١)].

وكانت أم سلمة رضي الله عنها تتأسى في قولها هذا بما سمعته عن النبي ﷺ، ففي حديث عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول: ما أمره الله: إنا لله وإنا اليه راجعون. اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها - إلا أخلف الله له خيراً منها»[(٢)].

وزاد ابن ماجه: «إلا أجره الله عليها، وعاضه[(٣)] خيراً منها»[(٤)].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة(٩١٨)، وورد في مسند الإمام أحمد ج٦، ص ٣٠٩ بنحوه، ومسند أبي يعلى (٦٨٧١) ج٦، ص٢٤٦ بنحوه، والمعجم الكبير (٦٩٢) ج٢٣، ص٣٠٦، وفي (٩٥٧) ص ٤٠٠ وفي (٧٢٣) ص ٣١٩ بنحوه، والسمط الثمين ص ٢٣٦، وكتاب أزواج النبي ﷺ ص ١٤٩، وذكر ص ١٥٠ مع الاختلاف اليسير في اللفظ، وسمط النجوم العوالي ج١، ص ٣٨٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة (٩١٨)، ج٢، ص٦٣١، وورد في مسند الإمام أحمد ج٦، ص ٣٠٩ بنحوه، ومسند أبي يعلى (٦٨٧١) ج٦، ص ٢٤٦ بنحوه، والمعجم الكبير (٦٩٢) ج٢٣، ص ٣٠٦، وفي (٩٥٧) ص ٤٠٠ وفي (٧٢٣) ص ٣١٩ بنحوه، والسمط الثمين ص ٢٣٦، وكتاب أزواج النبي ﷺ ص ١٤٩ وذكر ص ١٥٠ مع الاختلاف اليسير في اللفظ، وسمط النجوم العوالي ج١، ص ٣٨٣.

(٣) ورد في المعجم الكبير (٩٥٧) ج٢٣، ص ٤٠٠ [وأعقبه الله].

(٤) صحيح سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصبر على المصيبة (١٥٩٨) ج١ ص ٢٦٦ وهذا لفظه، وورد في مسند الإمام أحمد ج٦، ص ٣٢١، والمعجم الكبير (٩٥٧) ج ٢٣ ص ٤٠٠ بنحوه، والطبقات الكبرى ج٨ ص٨٧ مع الاختلاف اليسير في اللفظ، وكتاب أزواج النبي ﷺ ص ١٤٩، وفي ص ١٥٠ مع الاختلاف اليسير في اللفظ، وسمط النجوم العوالي ج١، ص ٣٨٣.

ولكن لم تطب نفس أم سلمة رضي الله عنها أن تكمل الدعاء متسائلة بينها وبين نفسها من الذي سوف يكون خيراً من أبي سلمة؟ إلا أن الله عزم عليها، فأكملت الدعاء، فلقد ورد في صحيح مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «فلما توفي أبو سلمة قلت: من خير من أبي سلمة صاحب رسول الله ﷺ؟ ثم عزم الله لي فقلتها»[(١)].

ولقد تهيأت أم سلمة رضي الله عنها للبكاء على وفاة زوجها أبي سلمة رضي الله عنه قائلة: والله لأبكينه، فلقد كان غريباً، ومات في أرض غربة، فهي بذلك تريد أنه من أهل مكة، ومات بالمدينة، فلقد ورد في صحيح مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: «لما مات أبو سلمة قلت: غريب وفي أرض غربة؛ لأبكينه بكاء يُتحدث عنه، فكنت قد تهيأت للبكاء عليه. إذ أقبلت امرأة من الصعيد[(٢)] تريد أن تسعدني[(٣)]. فاستقبلها رسول الله ﷺ وقال: أتريدين أن تدخلي الشيطان بيتاً أخرجه الله منه؟ مرتين». فكففت عن البكاء فلم أبك»[(٤)].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة (٩١٨) ج٢، ص ٦٣٣ وهذا لفظه، وفي رواية أخرى لمسلم: [قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ؟ ثم إني قلتها] (٩١٨) ج٢، ص ٦٣٢، وورد في مسند الإمام أحمد ج٦، ص ٣٠٩، والمعجم الكبير (٦٩٢) ج٢٣، ص ٣٠٦، وفي (٩٥٧) ٤٠٠، والسمط الثمين ص ١٣٦، وأزواج النبي ﷺ ص١٤٩، في ص ١٥٠، وسمط النجوم العوالي ج١، ص ٣٨٣.

(٢) الصعيد: المرتفع من الأرض، وقيل: الصعيد الأرض (لسان العرب مادة صعد ج٧، ص ٣٤٣- ٣٤٤).

(٣) تسعدني: سعده بمعنى أعانه والإسعاد المعونة (لسان العرب مادة سعد، ج٦، ص ٢٦٢).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت (٩٢٢) ج٢، ص٦٣٥ وهذا لفظه، وورد في مسند الإمام أحمد ج٦، ص ٢٨٩ بنحوه، ومسند أبي يعلى ج٦ (٦٩١٢) روي بنحوه، (٦٩١٩) بنحوه، والمعجم الكبير (٦٠١) ج٢٣، ص ٢٧٧.

فعندما نهاها رسول الله ﷺ عن البكاء كفت عنه. وجاءت إلى رسول الله ﷺ سائلة إياه عما عساها أن تدعو به لأبي سلمة بعد وفاته، فقال رسول الله ﷺ: «قولي اللهم اغفر لي وله، واعقبني منه عقبى حسنة»(١).

قالت: فقلت(٢) فأعقبني الله من هو خير منه، محمد رسول الله ﷺ(٣).

سنة وفاة أبي سلمة رضي الله عنه:

توفي أبو سلمة رضي الله عنه متأثراً بجراحه، ولكن اختلف في السنة التي توفي فيها أبو سلمة رضي الله عنه:

فقيل: في السنة الثالثة من الهجرة، وممن قال بهذا: ابن عبد البر قال: «توفي لثلاث مضين من جماد الآخر سنة ثلاث من الهجرة»(٤).

وابن الجوزي(٥).

---

(١) صحيح سنن الترمذي، أبوب الجنائز، باب تلقين المريض عند الموت والدعاء له (٧٨٢) ج١، ص ٢٨٨، وهذا لفظه، وورد أيضاً في مسند أبي يعلى (٦٩٢٨) ج٦، ص ٢٦٩، والطبقات الكبرى ج٨، ص ٨٨، وسير أعلام النبلاء ج٢، ص ٢٠٧.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ما يقال عند المريض إذا حضر ج١ (١٤٤٧) ص ٢٤٤ [ففعلت]، وورد في المعجم الكبير (٩٤٠) ج٢٣، ص٣٩٣.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المريض والميت (٩٩١٩) ج٢، ص ٦٣٣، وهذا لفظه، وورد أيضاً في صحيح سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب ما يستحب أن يقال عند الميت من كلام (٢٦٧٢) ج٢، ص ٦٠٢، وورد أيضاً في صحيح سنن الترمذي، أبواب الجنائز، باب تلقين المريض عند الموت والدعاء له (٧٨٢) ج١ ص٢٨٨، وورد أيضاً في صحيح سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب فيما يقال عند المريض إذا حضر (١٤٤٧) ج١، ص ٢٤٤، وورد في مسند الإمام أحمد ج٦ ص ٢٩١، وفي ٣٠٦ بنحوه، ومسند أبي يعلى (٦٩٢٨) ج٦، ص ٢٦٩ بنحوه، والمعجم الكبير (٣٩٣) ج٢٣، ص ٢١٥/ وفي (٩٤٠)، ص٣١٩ بنحوه، والطبقات الكبرى ج٨، ص٨٨، وسير أعلام النبلاء ج٢، ص٢٠٧ مع الاختلاف اليسير في الألفاظ.

(٤) الاستغناء في معرفة المشهورين ج١، ص ٣٠٦.

(٥) انظر: صفوة الصفوة ج١، ص ٤٤١.

ومنهم من قال: توفي أبو سلمة في السنة الرابعة من الهجرة. وقال بهذا ابن سعد[١] والطبري[٢] الذهبي[٣] والدمشقي[٤] وعبدالملك بن حسين[٥] وابن سيد الناس[٦] وصاحب «تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير»[٧] وصاحب «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير»[٨] وعبد الرحمن الصفوري الشافعي[٩] وابن الجوزي[١٠].

مناقشة الروايات:

ويرد على من قال: إن أبا سلمة رضي الله عنه توفي في سنة ثلاث من الهجرة ما ثبت أن أبا سلمة رضي الله عنه خرج بسريته التي عقدها له رسول الله ﷺ إلى قطن في هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من هجرة رسول الله ﷺ[١١].

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى ج٨، ص٨٧.

(٢) انظر: السمط الثمين ص ١٣٣.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ج٣، ص ٢٠٣.

(٤) انظر: أزواج النبي ﷺ ص ١٤٩.

(٥) انظر: سمط النجوم العوالي ج١، ص ٣٨٥.

(٦) انظر: عيون الأثر ج١، ص٣٨٢.

(٧) انظر: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير ج١، ص ١٨٦.

(٨) انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير ص٢٣٠.

(٩) انظر: نزهة المجالس ومنتخب النفائس ج٢، ص ١٧٦.

(١٠) انظر: كتاب الوفا بأحوال المصطفى ج٢، ص ٣٤٩.

(١١) انظر: الطبقات الكبرى ج٨، ص٨٧، وتاريخ الأمم والملوك ج١٣، ص ٧٢، مع الاختلاف اليسير، وسير أعلام النبلاء ج٢، ص٢٠٣، وسمط النجوم العوالي ج١، ص ٣٨٥ مع الاختلاف اليسير، وعيون الأثر ج١، ص ٣٨٢.

كما يرد أيضاً على من قال: إنه توفي سنة ثلاث من الهجرة ما قاله الحافظ ابن حجر: «إن أبا سلمة شهد أحداً ورمي بسهم، فعاش بعده خمسة أشهر أو سبعة، ومات»[(١)].

الرأي الراجح:

لقد اتفقت معظم الروايات[(٢)] على أن عدة أم سلمة رضي الله عنها انقضت في شوال من السنة الرابعة من الهجرة كما ذكر ذلك ابنها عمر بن أبي سلمة حيث قال: «فاعتدت أمي، وحلت لعشر بقين من شوال سنة أربع»[(٣)] والمعروف أن عدة المرأة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام كما قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا** ﴾[(٤)].

فمعنى هذا أن أبا سلمة رضي الله عنه توفي قبل انقضاء عدة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها بأربعة شهر وعشرة أيام، وهذا يؤكد أن أبا سلمة رضي الله عنه توفي في السنة الرابعة من الهجرة في شهر جمادى الآخرة.

---

(١) تهذيب التهذيب ج١٢، ص ٤٥٦.

(٢) مسند الإمام أحمد ج٥، ص١٢٠، والطبقات الكبرى ج٢، ص٨٧، ص ٩٥، وتاريخ الأمم والملوك ج١٣، ص ٧٢، وتهذيب التهذيب ج١٢، ص ٤٥٦، ونزهة المجالس ومنتخب النفائس ج٢، ص١٧٦.

(٣) مسند الإمام أحمد ج٥، ص١٢٠، والطبقات الكبرى ج٢، ص٨٧، ص٩٥، وتاريخ الأمم والملوك ج١٣، ص ٧٢، وتهذيب التهذيب ج١٢، ص ٤٥٦، ونزهة المجالس ومنتخب النفائس ج٢، ص ١٧٦.

(٤) سورة البقرة، آية ٢٣٤.

مواساة رسول الله ﷺ أم سلمة رضي الله عنها:

فعندما توفي أبو سلمة رضي الله عنه جاء رسول الله ﷺ إلى أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها يواسيها في مصابها. فلقد ورد أن رسول الله ﷺ دخل على أم سلمة رضي الله عنها يعزيها بأبي سلمة، فقال: «اللهم عز حزنها واجبر مصيبتها. وأبدلها به خيراً منه»[1]، وقال لها ﷺ: «سلي الله أن يؤجرك في مصيبتك، ويخلفك خيراً، فقالت: ومن يكن خيراً من أبي سلمة؟!»[2].

* * *

(١) الطبقات الكبرى ج٨، ص٨٩.

(٢) مسانيد أمهات المؤمنين ص ٣٥.